المنافق و صورته في القرآن الكريم
دراسة تحليلية

د. يونس هلال منديل
مدرس
جامعة كركوك / كلية التربية

الملخص

لم تستثن الدراسات الأدبية ظاهرة او شخصية في عصور الأدب العربي إلا وتناولتها ضمن ميادينها التي خاض غمارها الدارسون والباحثون ولم يأل جهدا في إعطاء القران الكريم المحل الأول والصدارة المتقدمة في دراساتهم العربية بجناحيها اللغة والأدب ولهم كل الحق في ذلك لأسباب كثيرة لا يمكن حصرها {قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً }١٠٩الكهف وقد أثارت اهتمامي كأحد الباحثين مسالة المنافق منذ سنوات ليس فقط في السورة التي افردها رب العزة لهم واسماها باسمهم وإنما الآيات القرآنية التي تنوعت وتوزعت في كتاب الله كبداية سورة البقرة التي ذكر فيها المنافقين ثلاث عشرة مرة أضعاف ذكر المؤمنين والكافرين في الموضع نفسه وقد أثار اهتمامي وصف القران المنافقين وانا استمع او اقرا في كتاب الله كقوله تعالى{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً }الأحزاب١٩ حين يجمع المنافق المتناقضات في ان واحد ولا أريد أن ابتدئ الدراسة في هذا التقديم ولكن على سبيل الإشارة ولان جزء من هذه الاية الكريمة كان سبب في اختيار الموضوع خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وكانت له الحياة الدنيا امتحان يحاسب عليه يوم العرض الأكبر وأرسل الله سبحانه وتعالى الرسل مبشرين ومنذرين وهادين الى الله بإذنه غير ان سبيلهم ما كان يوما سبيلا ميسرا سهلا تحفه السلامة ومعلوم انه ما بعث رسول إلا نوصب العداء وكاد به من لا يؤمن بالله لذلك كان لزاما على المؤمنين ان يناصروا الرسول ويؤازروه وبهذا سينشأ صراع تقوم به قوى الضلالة لإطفاء جذوة الحق ونور الله والله متم نوره صراع فكري وحربي واقتصادي وحملات تشهير ضد الصف المؤمن إلا ان كل هذا العداء الذي تقوم به قوى الشر كان الصف لمؤمن لها بالمرصاد غير ان هنالك عداوة نكراء غير واضحة المعالم ومبهمة الا وهي ما رمى به المنافقون الرسول

صلى الله عليه وسلم وجنده حين ناصبوهم العداء وهم يتحركون ضمن صفوف المؤمنين جسدا اما قلوبهم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان المخالف للدين الحق ان لم يعترف به ولم يذعن له ظاهرا ولا باطنا، فهو الكافر.

وإن اعترف بلسانه، وقلبه على الكفر فهو المنافق.وما تقوم عليه شرائع هذا الدين وتوجيهاته . ونظمه وأوضاعه ، وآدابه وأخلاقه . . أصله استشعار القلب لجلال الله ، والاستسلام المطلق لإرادته؛ وإتباع المنهج الذي اختاره ، والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته .

وبعد ذلك يلقي بكلمة الحق والفصل في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية . مبتدئاً بإيقاع حاسم يقرر حقيقة واقعة : {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}الأحزاب٤ . . يرمز بها إلى أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من أفق واحد ، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد ، وإلا نافق ، واضطربت خطاه . وما دام لا يملك إلا قلباً واحداً ، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد وأن يتبع نهجاً واحداً؛ وأن يدع ما عداه من مألوفات وتقاليد وأوضاع وعادات ، والملاحظ ان الأسلوب القرآني حين يكون موجها الى المؤمنين له خصوصية انتقاء الألفاظ وضرب المثل والثناء عليهم أما في خطاب المنافقين والكافرين فسيجمعهم في ذكر الكفر ويفرد ذكر المنافقين لما هو عليهم حالهم من ادعاء لا يدعيه أهل الكفر ،لاسيما وهم يعيشون حياة الازدواجية التي اختاروها لأنفسهم ظلما وبهتانا وإذ هم ظنوا في أنفسهم النجاح وأنهم حازوا الخير كله فهم ما علموا أن المسالة اكبر من المطمح الشخصي والمطمع المادي فهي قضية امة اختارها الله لإخراج الناس من الظلمات الى النور ولضمور همة المنافق ولأنه العدو في ثياب الصديق لذا فقد أولاهم القران الكريم الأهمية لينذر المسلمين من شرورهم ففضح مكائدهم وأجلى ما يدور في وجدانهم من غيض و تقربهم من الكفر وأهله وذكر ميزاتهم النفسية وسماتهم الدنيئة باسلوب رفيع ملائم لهم بألفاظ انتقائية وصور وافية لانعكاس حالهم ذاك على مظاهرهم الشكلية و الله يأبى إلا فضحهم وهي مسائل دينية وحتى تاريخية وسيكون للجانب الأدبي وصوره وتحليلاته النصيب الاوفى ان شاء الله تعالى .....

توطئة ومقدمة:

المنافق لغة واصطلاحا:

يقال نافَقَ اليربوعُ إذا دخل في نافِقائه وقَصَّع إذا خرج من القاصِعاء وتَنَفَّق خرج قال أَبو عبيد سمي المنافقُ مُنافقاً للنَّفَق وهو السَّرَب في الأَرض وقيل إنما سمي

مُنافقاً لأنه نافَقَ كاليربوع وهو دخوله نافقاءه يقال قد نفق به ونافَقَ وله جحر آخر يقال له القاصِعاء فإذا طَلِبَ قَصَّع فخرج من القاصِعاء فهو يدخل في النافِقاء ويخرج من القاصِعاء أو يدخل في القاصِعاء ويخرج من النافِقاء فيقال هكذا يفعل المُنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه[i] ، يقول النبي _صلى الله عليه وسلم_ (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) قال رسول _صلى الله عليه وسلم_ "نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور"(٢)والمنافق مأخوذ من النفق وهو السرب أي يتستر بالإسلام كمه يتستر الرجل في السرب ويقال هو من قولهم نافق اليربوع ونفق إذا دخل نافقاءه فإذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء وإذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء والراهطاء والدامياء أسماء جحر اليربوع(٣) والنفاق اصطلاحاً فعل المنافق وهو دخول الإسلام من وجه والخروج عنه من أخر وقد نافق منافقة ونفاقا .....وهو اسم أسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص له ونقل الصاغاني عن ابن الانباري في الاعتلال لتسمية المنافق منافقا ثلاثة أقوال :ـ احدها : انه سمي به لأنه يستر كفره ويغنيه فشبه بالذي يدخل النفق وهو اسب فيستتر فيه والثاني :انه نافق كاليربوع فشبه به لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه والثالث :انه سمي لإظهاره غير مايضمر (٤)النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو أنواع : اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار وعملي وهو من اكبر الذنوب (٥) قال ابن جريح المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه ، "والله_سبحانه وتعالى_في بداية القران الكريم في سورة البقرة .. أراد أن يعطينا وصف البشر جميعا بالنسبة للمنهج وانهم على ثلاث فئات : الفئة الأولى هم المؤمنون ،عرفنا الله_سبحانه وتعالى_ صفاتهم في ثلاث ايات في قوله تعالى:-(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ{٣} والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ{٤} أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٥} البقرة) والفئة الثانية هم الكفار وعرفنا الله_سبحانه وتعالى_صفاتهم في آيتين في قوله تعالى:-(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ{٦} خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ{٧} البقرة) وجاء ذكر المنافقين فعرف صفاتهم في ثلاث عشرة اية متتابعة لماذا ..؟ لخطورتهم على الدين ، فالذي يهدم الدين هو المنافق ، أما الكافر فنحن نتقيه ونحذره ، لانه يعلن كفره "(٦) وقد نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهن وهو في الباطن مؤمن (٧)يعتبر البناء النفسي للإنسان الأساس

الذي من خلاله يظهر التكوين الإنساني له ويكون تبعا لذلك البناء ايجابيا أو سلبيا في مكان وزمان ينتقل بالشخصية .وقد عرف التاريخ الإنساني الكثير من الشخصيات التي اتسمت بسلبياتها أو ايجابياتها ولكل مبرراته ودوافعه التي لن تبتعد في حقيقتها عن البناء النفسي في الرفض والقبول .،إلا الشخصية المنافقة فهي حقا كما وصفها رسول الله_صلى الله عليه وسلم_:-" مثل المؤمن والكافر والمنافق مثل ثلاثة نفر اتو نهرا عظيما في مفازة فوقع واحد منهم في النهر فسبح سبحا وخرج ووقع الثاني فكلما كاد إن يصل إلى شطر النهر ناداه الثالث الذي لم يدخل بعد في النهر أن يافلان هلم إلي فان الطريق مخوف فتهلك ارجع إلي فأن اعلم بطريق أخر يعبر بالسلامة على والذي خرج يناديه إن إلي الطريق أمن وعندي من النعيم مالا يوصف فما زال يذهب إلى هذا والى ذاك حتى يغرق في الماء و يهلك(٨)".هو الإنسان الغير مستقر الذي يرى في عمله الخير حين لم ينتمي وإنما حاول إن يأخذ من كل فريق ما يرى فيه خير نفسه وأمنها دون التفكير بالعواقب . فهو المؤمن في الظاهر ليتقي باس المسلمين الذي يطال الكافر بالله_سبحانه وتعالى_إما حقيقة فهي التربص بالرسول_صلى الله عليه وسلم_ والمسلمين . وتكن خطورته انه ضمن الفريق ولكنه حقيقة مع أعدائه لكن يأبى الله_سبحانه وتعالى_ الا فضح المنافقين وسنجد الآيات ألقرانيه في حديثها عن المنافقين تأتي بأسلوب خاص عالي ألدقه وقاطعة لسبيل المنافقين وفاضحه لهم .

ويعلم الله _سبحانه وتعالى_رسوله الكريم "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤}النجم" فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :-" (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) "(٩)فهو وان أدعى الإيمان إلا إن هذه السمات المذمومة تبتعد به عن سمة المؤمنين الصادقين لتكن له ميزة يعرف من خلالها القران كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه

مرض القلب

الإسلام الدين السماوي ألذي يعتمد الفكر العالي والعقل الراسخ والقلوب السليمة في فهم قوانينه واستشعار آياته والقران الكريم كتاب الله تعالى يجد في المنافق قلبا مريضا سقيما ذلك أنه ابتعد عن طريق الصلاح والخير وقد مرضت قلوب المنافقين بإعمالهم السيئة الدنيئة (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) البقرة:١٠) وهم مع تلك القلوب المريضة التي لا رجاء في شفائها ولا صلاح لها ولن يصدر منها إلا التوجه الباطل السيئ وستجعلهم في شك

ونفوسهم لن يستقر ويزيدهم الله_سبحانه وتعالى_ مرضا عقابا لهم " (١٠)فلا يرى المنافق جراء قلبه السقيم الخير وأهله ولا يلحق بركبهم حيث يكون بين الفريقين لا إلى هؤلاء ولا إلى الآخرين حتى هلاك نفسه.

كما يقول الشاعر: ومن يكن ذا فم مر مريض يجد به مر الماء الزلالا (١١)

"في قلوبهم مرض أي شك ونفاق يقال أصل المرض الفتور فهو في القلب فتور عن الحق وفي الأبدان فتور الأعضاء وفي العيون فتور النظر فزادهم الزيادة الإلحاق بالمقدار ما ليس منه والنقصان الإخراج عن المقدار ما هو منه والتمام البلوغ حد المقدار من غير زيادة ولا نقصان"(١٢)والمنافقين وان اظهروا الإسلام فهم يسارعون دائما ويبادرون إلى مولاة ومهادنة اعداء الله_سبحانه وتعالى_ لانهم يخشون ان يقع امر من ظفر الكافرين بالمسلمين كي تكون لهم اياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك "(١٣)فقلوبهم الفاسدة تريهم ان الباطل الذي سيسلكونه فيه النجاة عن طريق الحيلة والمكيدة بإظهارهم الاسلام وما تحويه تلك القلوب من باطل يدفعهم الى مولاة اعداء الله_سبحانه وتعالى_ لينالوا الحظوة عندهم .اما ما يصلح امر المؤمنين في نزول آيات الله _سبحانه وتعالى_فكانت هادية ورابطة على قلوب المؤمنين مع كل ما بما تحويه هذه الآيات البينات من الخير لن تكون الا سببا لضلالة المنافقين ودمارهم وزيادة شكهم وريبة الى ريبهم (١٤)قال تعالى :-(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ) التوبة ١٢٥) لكل داء دواء اذا كان المرض لدى المسلم ليس له رجاء في شفائه ففيه رحمة لصاحبه في كل الم وعناء وضيق الا المنافق فان مرضه القلبي هذا (النفسي) وبالا عليه وعذابا سريعا يتلقاه وله العذاب الاليم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار .

ذلك أنه حدد المصالح التي يمكن الحصول عليها في الحياة الدنيا بنفاقه مع كل فريـق فما يحصل له غير الخسران المبين . "فزادتهم رجسا إلى رجسهم الرجس في معنى العذاب أي فزادتهم عذابا إلى عذابتهم بما تجدد عند نزوله من كفرهم والرجس القذر والنتن أيضا أي نتنا إلى نتنهم أي كفرا إلى كفرهم والنتن كناية عن الكفر"(١٥) " فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما زادت المؤمنين إيمانا إلى إيمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببا فيه وجزاء عليه فثواب الإيمان إيمان وثواب الكفر كفر"(١٦)

وبنفاقه المنافقين ستكون لهم ثلاث مسائل:-

١. التذبذب وعدم الاستقرار فيم وقر في قلوبهم والم نفسي وعناء وكد .

٢. محاولتهم الحصول على كل مصالح يرونها غير أنهم في الفتنة اركسو وما حصلوا على غير الشر

٣.   العذاب النفسي الدنيوي يعيش في تلك القلوب المريضة ولهم عذاب اليم يوم القيامة لان الإيمان من أعظم النعم التي ينعم بها الله _سبحانه وتعالى_على عباده المؤمنين .

أفئدتهم هواء

قوة الإنسان بجنانه وقوة قلبه حين يدعمها إيمان راسخ بقضية يعتقد بها ويتبناها اما المنافق فايمانه لا يتعدى أن يكون في مطامح ومطامع دنيوية يبذل من اجلها أعظم الأشياء للحصول على محقرات الأمور فما أراد أن يكون مصدرا لقوته كما ظن وهمنا حين اختار الانتماء الى كلا الفريقين تجنبا للهلاك وطلبا للربح فانه بعمله هذا تشتت وعاد قلبه مريضا لا علاج له فجاءه الفساد من حيث ظن انه النجاةٍ.ففؤاده لا استقرار له ولا انتماء كانه ريشة اشتدت بها الريح في يوم عاصفٍ لا وجهة لقلبه ولا دلاله لهدفه وقد اختار لنفسه الخسران المبين حين أراد أن يتبع كل السبل المؤدية الى النجاح المزعوم الذي ظنه . وحاول جاهدا البقاء على ما وجد فيه مكاسب . نائين بأنفسهم عن كل تضحية في المال والنفس لانعدام الايمان الراسخ الحقيقي ٍ,وهم بذلك اقرب للكفر منهم إلى الإيمان لاسيما حين يدعوهم الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بالقتال (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ{١٦٧} الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "ال عمران ١٦٧_١٦٨)" فذكر أفواههم تنبيها على أن ذلك كذب مقول، لا عن صحة اعتقاد (١٧) يقولون لو يعلمون ان الإتباع الجزئي للدين فيه قتال لتخلوا عن الإسلام ولما دخلوه ذلك أنهم لم يدخلوه إلا إفساداً على أهل الإيمان وحفاظاً على أنفسهم وأموالهم من شوكة المسلمين أما وقد اقتربت مخاوفهم بالقتل وفقد الأموال متمثلة بالحرب هنا سيرجعون الى قلوب فارغة لا تسندهم ولا تنفعهم فلن يقبلوا إلا بالتولي والهزيمة فيصفهم الله_سبحانه وتعالى_ في حالهم هذا هم للكفر اقرب منهم للإيمان حين اختاروا منتصف الطريقٍ,لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا هدف لهم إلا ما فيه ربح عاجل ونجاة من عقاب عاجل وكلامهم الذي يصدر عنهم لا يأتي من إيمان راسخ وقلب سليم فهم كاذبون فيقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ذاك أنهم لو قالوا وأفصحوا عن حقائقهم لما كان في قولهم الا سفاسف الأمور ودناءة المنهج وخفة العقل . قلوبهم معلقة بحب الدنيا والشهوات لا استناد لهم ولا حقيقة يعتمدونها وقد جاءت الآيات القرآنية فاضحة لهم ولما يضمرون فيبطئون باللحاق بجند المسلمين فان أصابت المسلمين مصيبة ("وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً{٧٢} وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ

تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً{٧٣}"النساء ٧٢-٧٣) "من قتل او شهادة وغلب العدو لكم (المسلمين) لما في ذلك من حكمة يظن ان ذلك انعام من الله_سبحانه وتعالى_له اذ لم يحضر معهم وقفة القتال ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر والشهادة إن قتل (١٨)اما اذا كانت الغلبة للمسلمين فكأن(لم تكن بينكم وبينهم مودة) أي كأنهم ليس من أهل دينكم وقد ادى بهم بناءهم الداخلي الذي يعتمد المكاسب الآنية السريعة إلى افتضاح أمرهم فهم لا يقومون على التضحية ابدا وفي حالة عدم الاستقرار والثبات متبعين لعورات المسلمين ومن ثم للغنائم هذا جل ما شغلهم وقد فضح أمرهم الجهاد في سبيل الله لأنه أثقل الأعباء عليهم ("وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ{٢٠} "محمد) وقد وصف الله _سبحانه وتعالى_ (اجلى مظاهر نفاقهم وذاك حين يدعى المسلمون الى الجهاد فقد يضيق الامر بالمنافقين اذ كان تظاهرهم بالإسلام سيلجئهم الى الخروجٍ للقتال مع المسلمين وذلك أمر بين لأن فيه تعرض لإتلاف النفوس دون ان يرجو نفعا في الحياة الأبدية اذ هم لا يصدقون بها (١٩)حال المنافقين مفتضح في كتاب الله_سبحانه وتعالى_ فنجدهم وهم يدعون اقربائهم وعشائرهم وخلطائهم (هلم الينا) (" قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً{١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً{١٩} يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً{٢٠} "الأحزاب)لم يكتف المنافقون ان يكونوا ضمن عوامل الهدم بل حاولوا جاهدين ان يجذبوا من حولهم كي يكونوا كحالهم في السوء والإفساد منهم معوقين لمن أراد منهم الجهاد والقتال وشهود الحرب قائلين لهم تعالوا معنا إلى ما نحن فيه من طعام وشراب وظل ظليل في ثمار وراحة ودعة وحفاظ على الحياة في عدم الخروج الى الحرب هذه الآيات القرآنية المباركة وصف حال المنافقين. فهم محبين للكسل وملذات الحياة ولا يأتون البأس إلا قليلا بخلاء الى ابعد حد واذا كانت اعينهم في الحرب (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)ٍفهم في حال الأمن على غير ذلك (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) "أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا وأدعو لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك " سلقوكم بألسنة حداد أي بالغوا في عيبكم ولائمتكم بألسنتهم ومنه قولهم خطيب مسلق ومسلاق وسلاق وصلاق بالسين والصاد جميعا أي ذو بلاغة ولسن والسلق والصلق رفع الصوت (٢٠) " اما عند الغنيمة فاشح القوم وأسوأه أعطونا أعطونا قد شهدنا

معكم واما عند البأس فاجبن قوم يمتازون بالكذب وقلة الخير وتأكيداً لصفتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف " يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا " بل هم قريب منهم ولهم عودة إليهم أي يودون اذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكذبون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من امركم مع عدوكم ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلو معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله_سبحانه وتعالى_
العالم بهم (٢١)

تذبذب في مواقفهم

المنافق العملة المزيفة او المعدن الشبيه الذي يعطي بريق الذهب ولونه أما جوهره فلا فائدة منه ومن تعهده فلن يجني الا الحسرة والندامة فلهم أنفسهم الخبيثة وما في صدورهم يعكس انعكاس حقيقي على مظاهرهم وان لم يشعروا و سيكون الصراع على أوجه في داخل المنافق فلا تناغم أو تواءم مابين هيئة الخارجية وما تضمره قرارة نفسه وقد جاء الوصف ألقراني لهم في سور النساء بأنهم مذبذبين مشتتين لا قرار لهم ولا استقرار غير واثقين من خطاهم يرون ان الخير دائما لا يقع إلا في المنفعة العاجلة دون النظر بالأسباب والعواقب ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً{١٣٧} بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً{١٣٨} الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً{١٣٩} وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً{١٤٠} الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً{١٤١} إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً{١٤٢} مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً{١٤٣} النساء ١٣٨-١٤٣)) ان المنافقين من هذه الصفة فأنهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون اليهم بالمودة ويقولون لهم ادخلوا بهم انما نحن معكم انما نحن مستهزئون أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم بالموافقة ....ثم اخذ الله _سبحانه وتعالى_ بان العزة كلها له وحده لا شريك له ولمن جعلها له(٢٢)" كانو يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم وما ذاك الا

لضعف إيمانهم وقلة إيقانهم "..... "يوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور"(٢٣).(مذبذبين) يعني المنافقين حائرين ما بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهر وباطنا ولامع الكافرين ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى أولئك "(٢٤)مذبذب متمادي على الشرك وعدم التصميم على ضلالة واحدة وهذا مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على قطعة منه إلا انتهبها منه آخر وتلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه وترك ما كان عليه ومشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يكن ولم يرجع لا سبيل إلى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج بضلالته وهذا مشبه في قرارة على الكفر باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافل هو أبعد الإحياز عن السماء فاستقر فيه انتهى ولا يخفى أن ما ذكرناه أوفق بالظاهر "(٢٥)

وقد قال الرسول _صلى الله عليه وسلم_ " مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير في هذه مرة وفي هذه مرة لا تدري أيها تتبع (٢٦)" فلا تحصل لها المنفعة التي كانت في كل قطيع بل سيذهب جهدها في طريق الذهاب والاياب يقرن الله_سبحانه وتعالى_الامتثال لامره في الجهاد بالايمان في قوله تعالى:- (لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْم الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ{٤٤} إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ{٤٥}سورة التوبة ٤٤-٤٥) ولا يفتأ القران الكريم فاضحا لما غطى المنافقين به انفسهم حين تظاهروا بالإيمان فهو يضعهم دائما على المحك الجهاد في سبيل الله_سبحانه وتعالى_ حين لا يبقى الكلام ومعوله دور انما يراد من المسلم الفعل والتضحية فعند ذلك تسقط اقنعتهم وتظهر حقائقهم التي يوارونها بما استطاعوا من قوة"" ويسالون الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في القعود عن الغزو فهم لايرجون ثواب الله في الدار الاخرة على اعمالهم " وَارْتَابَتْ قلوبهم " أي شكت في صحة ما جئتهم به " فهم في ريبهم يترددون أي يتجرون يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى وليست لهم قدم ثابتة في في شئ منهم قوم حيارى هلكى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .ومن يظل الله فلن تجدله سبيلا" (٢٧)

التظاهر بالايمان والتستر بالاصلاح

لا سبيل للمنافق الذي يعيش جسداً في دار الإسلام وباطنا -قد بني على باطل- مع الكافرين إلا أن يتخذ جنة يتقي بها ليحفظ نفسه وماله ، ولتنبيه المؤمنين ولئلا يؤخذوا عن حين غرة يشير القران الكريم إلى ذلك الصف في قوله تعالى :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ

الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ{١١٨})آل عمران ١١٨)يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم فالمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين (خَبَالاً) أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة ويودون ما يفت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم(٢٨) هم ضمن الصف جسداً أما قلباً وباطناً فهم مع الأعداء ولن يبقهم ضمن الصف إلا التظاهر بالإيمان وإلا لطردوا أو قتلوا وهم في ذلك الحال أكثر خطراً من الأعداء فالعدو واضح يحمل السلاح جهاراً نهاراً أما المنافق فهو العدو في ثياب الصديق الذي ستكون طعنته قريبة من المسلمين هو الحجر غير الصالح ضمن بناء الإسلام الشامخ مضطرب يريد ان يوقع البناء على أهله .يقول تعالى :- (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ{٨} يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ{٩} البقرة الآية ٨-٩) يعني المنافقين ...... ولهذا نبه الله _سبحانه وتعالى_حين أشار وأجلى صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر"(٢٩) اذاً الاعتماد الرئيس في الفكر المنافق على لون الرداء الذي يظن به صاحبه أنه سوف يبقيه ضمن النسيج الجماعي لكن الله _سبحانه وتعالى_يأبى إلا بإظهار حقائقهم الخافية عن أبصار المسلمين ويكشف زيفهم وخداعهم فرفع عنهم الغطاء كي يظهروا للعيان على ما هم عليه حقاً فلا يؤذوا المؤمنين من داخل صفوفهم ذلك أنهم قد رضوا بالكفر قلباً وإظهار الإسلام ظاهرياً . كما أنهم يخفون وراء الألسن السليطة نفوساً خبيثة تبغض الإيمان وأهله فقد جاء في سورة التوبة" إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ{٥٠} قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ{٥١} ".فيعلم الله _سبحانه وتعالى_نبيه _صلى الله عليه وسلم_ بعداوة هؤلاء له لأنه مهما أصابه من حسنة أي فتح وظفر على الأعداء مما يسره ويسر أصحابه ساءهم ذلك وإذا ما أصابت المسلمين غير ذلك مما يضر يضنوا أنهم قد فازوا باحترازهم من متابعة جند المسلمين .(٣٠) ولا يكتفوا في محاولاتهم البائسة بان يضمروا الكفر ويظهروا الإسلام انما نواياهم سيئة وقلوبهم مريضة يحبون أذية المسلمين إذا انتصروا في معركة تمنوا الحصول على المغانم لا الاشتراك بالأجر والثواب وإذا أصيب المسلمون فرحوا بقعودهم اذ أنهم قد نجو. فيذكرهم رب العزة بحقيقة قد نسوها أن القدر بيد الله_سبحانه وتعالى_ ولن يصيب المسلمون والناس كلهم إلا ما قد كتب الله لهم . وحين يفسد المنافق والفساد وهو الكفر والعمل بالمعصية وقيل لهم لا تعصوا الله في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله لان من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية فقد

افسد في الأرض لان صلاح الأرض والسماء بالطاعة فقيل لهم لا تفعلوا قالوا انما نحن على الهدى مصلحون .(٣١). " يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ{٩} فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ{١٠} "سورة البقرة (١١-١٢) "ويستعمل في إظهار ما يوهم السلامة وإبطال ما يقتضي الإضرار بالغير أو التخلص منه"(٣٢)اذاً حياة المنافق عبارة عن تناقص ما بين حقيقة وما يظهر صراع داخلي يعيشه للابقاء على موازنة نفسه التي تعمل في شيء لا إيمان له بها وهذا أمر لا يخلو من عناء وعذاب فضلاً عن قله القيمة التي يرى بها الناس أصحاب النفاق فهم لا يثبتون على موقف ذلك أن أقدامهم على شفا جرف هار لا يلبث أن ينهار به في أي لحظة في عذاب الله _سبحانه وتعالى_

استعلاء في الظاهر لتغطية خواء الباطن

ان البناء النفسي للمنافق يكون بناءاً هشاً ذلك لما تحمل ضمائرهم ما يناقض ظاهرهم . لذا استوجبت حالتهم هذه مسألتين الاولى :– ان يستعلى بإظهار تطبيق شرع الله وهو في حقيقة منكر له .الثانية :- أنهم لنفاقهم أذلهم الله في قرارة أنفسهم فهم أذلاء بمعصيتهم ويستعلون بإظهار العزة التي ليس لهم منها شيء يقول جل جلاله:- " أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ{١١} لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ{١٢} " (سورة الحشر) . وقد نزلت في جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبي سلول وأحزابه حين بعثوا إلى بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم وهذا إظهار للقوة والعزة والبأس غير أن كل هذا كان هراء ومحض افتراء ذلك لنهم كاذبون انما قالوا ذلك عسى ان يثبت اليهود وتحصل لهم الغلبة على المسلمين . فيصف القرآن ويفضح حقائقهم ذلك أنهم قالوا قولاً لا يفوا لهم به ولأنهم لا يقع منهم الذي قالوه .... فلا يقاتلوا معهم واذا قاتلوا ليولن الإدبار هاربين ذلك أنهم يخافون من المسلمين أكثر من خوفهم من الله(٣٣). وهم بذلك لا ينفكوا مظهرين لكل ما يدعم زيفهم من كلام او مظهر او إشارة تدلل على التزامهم الديني وهم في اغلب أحوالهم يظهروا مظاهر الإسلام التي لا تضحية منهم فيها (محض كلام) اذ هم أكثر سلاطة في اللسان وقد وصف القرآن المجيد مجيئهم الى رسول _صلى الله عليه وسلم_ في سورة المنافقون "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ{٤} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ{٥}" وللمنافقين أساليب كثيرة

وطرق متعددة ومتشعبة يسلكها ليس له عنها رادع ولا دافع ما دامت تحقق له مبتغاه من سلامة من أمر المسلمين وقد ظهر ذلك جلياً في أقوالهم التي تحمل أعلى المعاني وهي تستند على أخوى القلوب وأدنى النفوس . وحين يحلفون لرسول الله_صلى الله عليه وسلم_ في سورة المنافقون بانه_صلى الله عليه وسلم_ رسول الله فكيف سيكذبهم ما قالوا بألسنتهم وهو الصدق اما فيما حوت قلوبهم فقد أجلى حقائق ما خبأت تلك الصدور في كتاب الله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) كما قالوه بألسنتهم "جاءت معترضة بين الشرط وجوابه لبيان انهم ما قالوا ذلك عن اعتقاد ولدفع توهم تكذيبهم في دعواهم الشهادة بالرسالة والأصل"(٣٤) ((وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)) أي فيما اظهروا من شهادتهم وحلفهم بألسنتهم وقال الفراء ((وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)) بضمائرهم فالتكذيب راجع الى الضمائر وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئاً واعتقد خلافه فهو كاذب (٣٥).

فلتات ألسنتهم تفضح نفاقهم

الكلام من الأساليب الإنسانية التي تعبر بصورة مباشرة عن مكنونات نفس الإنسان وبها يستطيع إيصال ما يريد إيصاله من موضوع او فكرة او تساؤل وهو "ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائرويخبر بمكنونات السرائر لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على ردِ شوارده "(٣٦)وكلما اقترن الكلام من بالحقيقية كان صادقاً لا سيما أذا ما كان تعبيراً عما يجول في وجدانه .إلا ان كل هذه القواعد المقارنة مابين الصدق والكذب والزيف والحقيقة لا تتفق معها نفس المنافق ذلك أنه يقول مالا يؤمن به ويؤمن بما لا يقول . هذا الوعاء وما حوى حين غطاه بغطاء كي لا يرى ما به لن يستطيع الإبقاء على ما فيه وستكون هنالك فلتات وزلات لسان تفضح صاحبها وما أخفى وغالباً ما تأتي فضيحة المنافق حين البأس او الاقتراب من موعد معركة أو في الأزمات ووقت المطامع وهم مميزون بجشعهم .و يظنون أنهم في منأى عن معرفة المسلمين بحالهم فيحلفون ويكذبون ويكيدون بالإسلام وأهله وقد جاء وصفهم في كتاب الله جل شأنه:-" وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٦١} التوبة (٦١)" فهم يؤذون الرسول بحقيقة ما حوت صدورهم ويريدون أن يخدعوا الله ورسوله والمؤمنين بالحلف والكذب . ويقول احدهم للآخر إن الرسول (أذن) أي من قال شيئاً صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا جئنا وحلفنا صدقنا (٣٧)وهذا ما كان عليه بناء المنافق النفسي أظهار ما لا يبطن والحلف والكذب وقول الزور وقول السوء لكن هل سيبقى ذلك في دواخل المنافق وقولهم

السوء فيما بينهم خافياً عن خير البرية _صلى الله عليه وسلم_ الجواب لا لأن الله جل في علاه سوف يقيم عليهم الحجة فيجاوبهم ما اقترفوا من ذنوب وفحش ((أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ)) عابوه _صلى الله عليه وسلم_ وحاشاه من العيب بسلامة القلب وسرعة القبول والتصديق لما يسمع فصدقهم جل شأنه ورد عليهم بقوله سبحانه : قل هو أذن خير لكم أي هو كذلك لكن بالنسبة إلى الخير وهذا من غاية المدح فإن النفس القدسية الخيرية تتأثر بما يناسبها أي أنه _صلى الله عليه وسلم_

يسمع ما ينفعكم وما فيه صلاحكم دون غيره(٣٨) " أي أنه أذن خير يعرف الصادق من الكاذب بإذن الله وان حيلهم لا تنطلي إلا على أنفسهم(٣٩).وبذلك فهم على وجل وخوف فهم يقولون القول ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا هذا (٤٠)ويحذرون ان ينزل الله (({أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ })) سورة محمد.

أي يعتقد المنافقون ان الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر(٤١)فيخاطبهم القرآن من دواخلهم وبما حوت صدورهم وعن مخاوفهم لإرجاعهم إلى طريق الهداية ولكي يفهموا ان ما ظنوهُ قد ستر عنهم وغاب عن الإسلام وأهله أنما هو واضح بأمر الله ولا يسلم من ألسنتهم الناس باطلاً وبهتاناً فقد تعرضوا للمسلمين بألسنتهم واصفين إياهم بالسوء وما لا يرضاه أحد على نفسه فقد قالوا في قراء القران الكريم " ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطوناً واكذبنا السنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك الى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ فجاء المنافق الذي قل هذا القول الى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_

. وقد ارتجل وركب ناقته فقال يا رسول الله كنا نخوض ونلعب "(٤٢) والله _سبحانه وتعالى_ يعلم ما يضمرون فيكشف مافي دواخلهم السيئة بل حتى منطوق اعتذارهم{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ }التوبة٦٥ فلا علاج ناجح لهم غير الحق فهم يرهبون جانبه فكان ان علم الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بحالهم وان يقول فيهم قولاً بليغاً ذلك ان الداء له دواء ولا داء كالنفاق ولا علاج له غير نور الحقائق الذي هو كالشمس التي يكره خيوطها المنافق الذي اعتاد ظلمه النفس والعيش في دهاليز الباطل .أما الحرب فليس مثلها شيء يجلي حقائق المنافق ذلك أنه يظهر الإسلام الذي لا تضحية فيه أما إذا دعا داعي الله لنصرة الدين ففي ذلك أعلى قيم التضحية التي يبتعد عن ميادينها المنافق فلا قيمة له تساوي حياته التي يعيش ولا دين يستحق حتى الإنفاق فما بالك إن طلب منه وضع نفسه على المحك الذي قد يحصل لها الهلاك. فقد جاء وصفهم وما اظهروا للرسول _صلى الله عليه وسلم_ في سورة الأحزاب " وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً{١٢} " . حين نزل

الأحزاب حول المدينة والمسلمون محاصرون في غاية الجهد والضيق والرسول _صلى الله عليه وسلم_ بين أظهرهم انهم أبتلو واختبروا وزلزلوا زلزالاً شديداً فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في انفسهم(٤٣). اما المنافق فنجم نفاقه والذي في قلبه شبهة او حسيكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف ايمانه وشدة مما فيه من ضيق الحال(٤٤)فيقومون بإعطاء الأعذار لئلا يخوضوا الحرب مع المسلمين ويدعون ان بيوتهم عورة يخافون عليها السراق وليس دونها ما يحجبها عن العدو فهم يخشون عليها منهم (٤٥)التصوير القرآني نجد فيه فضح حال المنافقين وإعطاء الأمان للمسلمين المؤمنين وليحذروا المنافقين فيما يحدث من بعد ولئلا يخشوا كيدهم فان الله يصرفه كما صرف أشده يوم الأحزاب(٤٦). ومن صفاتهم لا يسلم احد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال حتى ولا حتى المتصدقون من المسلمين لا يسلمون منهم فإن جاء احد منهم بمال جزل قالوا هذا مراء وان جاء بشيء يسير قالوا ان الله لغني عن صدقة هذا (٤٧)(أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ{٧٨} الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٧٩} التوبة) .تطغى دواخلهم وما حوت على الأستار والأغطية التي جعلوها جنه من المسلمين فتفلت ألسنتهم بعظيم القول في المسلمين والإسلام . ويشار إليهم ويعرفون بلحن القول .

كثرة الحلف لستر الكذب

حين يختل الميزان لدى الإنسان بين ما يعتقد والشكل الأساس لبناء نفسه (حقيقته) وبين ما يظهره للناس من أفعال او أقوال سيعيش ازدواجية ضمن شخصيتين الحقيقية التي ما هي عليه حقاً والمزيفة التي يظهرها للناس . و سيعمل ان يكون في نفسه رقيب على تصرفاته وأقواله لئلا يفتضح أمره ، غير ان ذلك لن يدوم فلا بد من ثغرة ستبدي للناس ما كان خافياً من أمر حقيقته ولو حرص كل الحرص .فكان المنافقون اذا ما ظهرت حقائقهم للرسول_صلى الله عليه وسلم_ ولصحبه الكرام فلا ملجأ لهم للتخلص من ذلك إلا الحلف العظيم كي يضمنوا تصديقهم . وكأنهم لم يعلموا أن المؤمن يقع في الخطأ ومع ذلك وبناءً على ثبات عقيدته فان له الاستغفار والتوبة أما هم فلا يريدوا الا النجاة من باس المسلمين يستخفون من الناس ولا يخافون من الله _سبحانه وتعالى_ ولا يمكن لمن يسلك طريقا ملتويا لا هدف له ولا صدق في نقل خطواته فيه ان يضمن الوصول الى النجاة (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً{٦٢}) / سورة النساء ٦٢ . " فكيف بهم اذا ساقتهم المقادير اليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم واحتاجوا اليك .... يعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا إلى غيرك وتحاكمنا إلى أعدائك

إلا الإحسان والتوفيق والمداراة والمصانعة لا اعتقاداً من صحة تلك الحكومة "(٤٨) غير ان القول اذا ما صدقه الإنسان فان الله _سبحانه وتعالى_يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . فيشير -جل في علاه- لرسوله الكريم لترك ظاهرهم الزائف ومن ثم وجه كلامك بليغاً مؤثراً الى حقائقهم كي يقع في نفوسهم ويفهموا المراد منه وان حيلهم قد كشفها الله _سبحانه وتعالى_ . وسقطات ألسنتهم ما هي الا نوافذ يرى من خلالها حقائق ما يكتمون ويتسترون عليه ونجد التعبير القرآني فاضح لنوايا المنافقين بذكر تسترهم على زيفهم وزيغهم إلا أنه لا يلبث ان يكشفهم ويعري حقائقهم (وقد تعرضوا للمسلمين وللرسول بالسوء الذي يضمره اهل النفاق وحين سمعها احد المؤمنين وجاء بها إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فجعل المنافق " يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب" (٤٩)وقد نصر الله _سبحانه وتعالى_رسوله الكريم_صلى الله عليه وسلم_ وصحبه الكرام بان فضح امر المنافقين وصدق المؤمنين) .وينتقل التعبير القرآني من الحالة الخاصة التي أحدثت النزاع بين المنافق والمؤمن حين دخل المنافق فيما حرم الله بذكره السوء ومن ثم الكذب . الى كشف انفس المنافقين ودواخلها أمام المؤمنين كي يكونوا لهم صورة واضحة ولا يتأثروا بزيفهم وتكون هذه الآيات رادعة للمنافقين مبينة لهم أن أمرهم مكشوف يقول تعالى:- " وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ{٦٥} التوبة (٦٤)" . بقول القول بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا(٥٠).وبوقفة تأملية قصيرة لحال المنافقين وما بنيت عليه أنفسهم ستثير الاستغراب لدن المتأمل من التذبذب الحاصل في دواخلهم أذ أن الكافر على جهة والمؤمن على جهة إلا أن المنافق يظهر في كلا الحالتين اذ يعمل عمل الكافر ويسر ذلك على المؤمنين وأحيانا تظهر لديه بعض الشارات الإيمانية كهذه التي يخاف فيها الله ان يفضح أمره ألا يدل ذلك على ومضات ايمانية ربما تعتري أهل النفاق في بعض أحيانهم وقد تكون سبب النور الذي يغادرهم على الصراط ليلاقون مصيرهم جراء نفاقهم وما اقترفته أيديهم (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ{١٧} صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ{١٨} أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ{١٩} يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{٢٠})البقرة .

كشف حال المنافقين وفضحهم

ياتي ذكر المنافقين في القرآن وقد تنوع ذكر حالهم. فقد وصف هيئاتهم الخارجية وبناءهم النفسي وفضح زلات ألسنتهم وآياتهم التي من خلالها يمكن للمؤمن أن يعرف صاحب النفاق وحين يذكر القرآن الكريم نواياهم شرورهم للمؤمنين أو مكائدهم لا يلبث ان يفضح سرائرهم أمام المسلمين وقد جاءت آيات كثيرة تحذر المؤمنين من المنافقين وفسادهم وإفسادهم " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ{١١٨} (١١٨)" سورة آل عمران . يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم(٥١) وسنجد ان الخطاب القرآني يستعمل أساليب قاطعة كل طرقهم الملتوية وأساليبهم الكلامية إرجاعاً لهم الى حقيقة واحدة اذا ما هم قد آمنوا بمتعدد من طرق الزيغ والتكلف والباطل ضانين ان فيها السلامة والنجاة والمغانم.

خصال وصفهم بها القرآن الكريم

تبين لنا ان المنافق متلون كذاب اشر يستر ظاهره ما اخفت نفسه مع المؤمنين في الظاهر ومع أعدائهم في حقيقة الأمر ومثل هذه الأعمال سوف تسم صاحبها بسمات وخصال تكون له ملازمة وتكاد تكون عكس الصفات التي يتحلى بها المؤمن الصادق ومن خصالهم نهيهم عن المعروف وأمرهم بالمنكر . (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ{٦٧} التوبة الآية ٦٧) يقول سبحانه وتعالى_ منكراً على المنافقين الذين هم على "خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء (يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) أي الإنفاق في سبيل الله (نسو ذكر الله) فعاملهم معاملة المنسي ذلك أنهم فاسقون أي خارجون عن طريق الحق داخلون في طريق الضلالة .ينظر "(٥٢) هم الأعداء الذين يلبسون ثياب الأصدقاء وهم ضمن الصفوف المسلمة لكن قلوبهم ضمن الصف المعادي لذا كان حقاً على العدو أن يحاول قلب ظهر المجن وان يفت من عضد الجماعة واذا كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويأتون الزكاة ورحماء بينهم أشداء على الكفار فالمنافقون يحملون عكس هذه الخصال ويعملون ضدها .ويقول الرسول _صلى الله عليه وسلم_ آية المنافق ثلاث "*أذا* وعد اخلف واذا أؤتمن خان واذا عاهد غدر"(٥٣) وإذا ما كانت الجزئيات تنظم تحت عمومية تجمعها ، فان المنافق الذي ادعى الإسلام وعمل عمل المسلمين وقال قولهم في مجمل حياته التي يعيش أيامها وهو مخالف لما يدعي فلا ريب أنه اذا ما قطع عهدا على نفسه

للمسلمين او لله -جل في علاه-فانه سوف يخلفه ولن يفي فيما قال . (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ{٧٥} فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ{٧٦} فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ{٧٧} أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ{٧٨} "التوبة) ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفى بما قال ولا صدق فيما ادعى وهؤلاء المنافقون" أعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم الى يوم يلقون الله عز وجل يوم القيامة عياذاً بالله من ذلك "(٥٤).اما الخداع فلا تكاد تنقضي ساعات يوم المنافق الا وهو يعيش هذه الخصلة الدنيئة فهي سمة له او بعبارة أخرى كأنها ثوب يرتديه يقيه ما يخاف ويتوجس منه ذلك أنه يعيش في نفسه ما بين عالمين مختلفين كل الاختلاف . عالم داخلي مظلم يتخبط فيه في دياجير الإنكار والحقد على المسلمين وعالم ظاهر للعيان يدعي فيه المنافق الإيمان والتصديق فلا يقوم بعمل إلا وقد نزع منه الإخلاص ولا يقول قول إلا وقد فرغ من محتواه حقيقة فأي خداع بعد هذا الخداع الذي يمارسه المنافقون وقد يظن المنافق أنه بعمله هذا قد انتفع وغاب أمره عن الله سبحانه وتعالى والمسلمين غير أن رب العالمين جل جلاله الكريم فضح أمرهم ({إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء١٤٢) .وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بسمة كانت عميقة الجذور في نفوسهم ألا وهي البخل وعدم القدرة على الإنفاق في سبيل الله والكرم معقود بالشجاعة ولا كرم في سبيل الله لمن لا ايمان له او مختل الايمان بالله تعالى (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً{١٩} الاحزاب ١٩) بخلاء بالمودة والشفقة عليكم (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) في الغنائم وفي الأمن يتكلمون كلاماً وقد إدعو لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة (سَلَقُوكُم)"استعارة مكنية حيث شبه اللسان بالسيف المسلط وحذف المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب ولفظ حداد ترشيح للاستعارة "(٥٥)لكن اذا ما جاء الخوف والقتال رأيتهم تتبدل أحوالهم تلك وإذا نظرت الى أعينهم وجدتها تدور كالمغشي عليه من الموت فقرن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية قرنت السمات في بين الشجاعة والكرم والجبن والبخل(٥٦) وإذا كانت دواخل المنافق قد اختلفت عن ظاهره وكذلك هو يختلف عن الرجال المؤمنين حين يطلب منهم صدق الموقف والإيثار فهو سليط اللسان في وقت الأمن رعديد لا يقدر على تحريك حدقة عينه حين البأس وما هو ثابت عليه شح غالب والحقيقة أن السرد القرآني لا ينهض على التكرار، وإنما يذكر جزءاً في موطن، ويذكر آخر في موطن ثان وهكذا، بمعنى "أن الغرض الديني هو الذي يملي إعادة القصة، ولكنها في هذه الإعادة، تلبس أسلوباً جديداً، وتخرج إخراجاً جديداً يناسب السياق الذي قيلت فيه وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر. حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل"(١).(٥٧) (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ{٧} المنافقون الآية ٧) لا تنفقوا على من عند

محمد _صلى الله عليه وسلم_ حتى ينفضوا ، حتى يتفرقوا عنه فأعلمهم الله _سبحانه وتعالى_ أن خزائن السماوات والأرض له ينفق كيف يشاء(٥٨).وهي من مقالاتهم في مجامعهم وجماعتهم يقولونها لإخوانهم الذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهراً بالاسلام كأنهم يقول بعضهم لبعض تظاهر الاسلام بغير الانفاق . وافتتحت الجملة بضميرهم الظاهر دون الاكتفاء بالمستتر في (يقولون) معاملة لهم بنقيض مصدرهم فأنهم ستروا كيدهم بإظهار قصد النصيحة ففصح الله أمرهم بمزيد التصريح . وهم بذلك يريدون أذية المسلمين إظهارا منهم الرفق برسول الله _صلى الله عليه وسلم_ (حتى ينفضوا) والباطن هو إبعاد اهل الصفة والفقراء من حول الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وعن ان يتقوى بهم المسلمون وتفرق فقراء المهاجرين لتضعف بتفرقهم المسلمين(٥٩) وحين تكن هذه سماتهم والبون الشاسع ما بين حقيقتهم وظاهرهم فما أحوجهم الى الرياء كي يستروا ما يبطنوه وسيكون الرياء هو دينهم وسمة راسخة في نفوسهم يعملونها في الأفعال والأقوال (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً{١٤٢} النساء /١٤٢) لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل انما يشهدون الناس تقية ومصانعة ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون فيها غالباً كصلاة العشاء وصلاة الفجر(٦٠)وكذلك جاء وصف المنافقين بالغرور بالحياة وملذاتها ولن يفقهوا شر ذلك الى يوم القيامة الا من رحم الله منهم فهم قد فتنوا أنفسهم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصوا أي أخروا التوبة من وقت إلى وقت وارتابوا بالبعث بعد الموت وغرتهم الأماني أي قالوا سيغفر الله لنا وقيل غرتهم الدنيا حتى جاء أمر الله-جل في علاه- أي مازلتم في هذا حتى جاء الموت فكانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار(٦١) ويتميز المنافقون بالخصام بل هم الد الخصام أي اعوج المخاصمين ففي حال خصومته يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه بل يفتري ويفجر فهو اعوج المقال سيء الفعال فذلك قوله وهذا فعله كلامه كذب واعتقاده فاسد وأفعاله قبيحة (٦٢)

المثل القرآني

حين يخاطب القرآن الكريم العقل البشري ويضرب له الأمثلة فهنالك ارتباط ما بين المثل والموضوع او المسألة التي استدعته لا فيما اختص به وحسب وإنما نجد المشاكلة ما بين المثل وموضوعه و سير اغوار المسألة او الموضوع وجدير بالذكر ان القران انزل على قوم وبلغتهم ومعجزا لهم ومن ثم للامم كافة وحريا ان يحاججهم ويقيم الحجة عليهم ويخاطبهم غالبا بما تعارفوا عليه في اساليب لغتهم كالامثال مثلا لا سيما وان العرب" قد امتازوا بخاصية الايجاز البليغ فان الامثال هي الشاهد الحي على هذا التمايز "(٦٣)و" في القرآن أمثال وان أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها شبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر "(٦٤)والمثل القرآني في المنافقين سيكون كاشفاً لحقائق بعيدة الغور قد يكونوا هم لم يفهموها وقد فصل لهم كتاب الله تلك الإمراض الباطنة وأسبابها وعلاماتها ." فالشخصية- من

منظور قرآني- هي الفعل التأسيسي، الشيء الذي جعل الأفعال في سياق السرد القرآني تنوب عن الشخصية (٦٥)" فالمنافق ما بين الفريق المؤمن والكافر فهو يتخبط خبط عشواء لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكلا الفريقين يعيشان صراع محتدم في نقض الآخر لذا فستقسم شخصيته المنافق إلى قسمين أو أكثر حياته الداخلية مع فريق الكافرين ومظهره الذي لن يستطيع ان يحافظ على ثباته مع المؤمنين وسيظهر منه ما أخفى لو حرص . وحين يضرب القرآن مثلاً لما هم عليه يقول تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ{١٧} صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ{١٨} سورة البقرة) والمثل القرآني يضرب " للترغيب في الممثل ،حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس ،ويضرب للتنفير أو الترهيب ويكون الممثل به مما تكرهه النفوس"(٦٦) في الآيات القرآنية الكريمة هم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يصبرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم إلى قوله إن الله على كل شيء قدير فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات و"جعل ضوءها خارجا عنه منفصلا ولو اتصل ضوءها به ،ولامسه لم يذهب ولكن لما كان الضوء مجاورة لا ملامسة ومخالطة وكان الضوء عارضا والظلمة أصلية فرجع الضوء الى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها فرجع كل الى اصله اللائق به"(٦٧)وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به تشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال فهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ

الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ويقول مخنثهم سدوا عنا هذا الباب واقرأوا شيئا غير هذا وترى قلوبهم مولية وهم يجمحون لثقل معرفة الرب سبحانه تعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطلة الماء الذي به الحياة لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقل عليهم لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا وكذلك نجد أعداء أصحاب رسول الله ثقل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من اخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم"(٦٨) وتقدير هذا المثل ان الله سبحانه مشبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى كمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياء لما أبصر فهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد وفي هذا المثل دلالة على أنهم امنوا ثم كفروا (٦٩).يقول الرازي عن السر في " التشبيه ههنا في غاية الصحة لا نهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نوراً ثم بنفاقهم ثانية أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة فان لا حيرة أعظم من حيرة الدين "(٧٠)ما أحوج الإنسان إلى نور يمشي به ويستأنس به في وحشة ليل بهيم فالمنافق حين صورة القرآن في هذا المثال الليل الكفر والضلالة والنور هو الدين الاسلامي الحنيف فحين دخل المنافقون الاسلام اضاء لهم جنبات حياتهم وبدأ بالرؤية الواضحة الصحيحة لكنهم لكفرهم اطفؤ تلك الجذوة المنيرة الا أنهم عادوا اكثر عماً فالمعروف ان من يرى نوراً في ظلام بهيم ومن ثم يذهب عنه يعود الظلام عليه اكثر شدة عما كان عليه أولا ثم يعطيهم الله -جل في علاه-صفات ينتزع فيها عنهم حواسهم التي هم بأشد الحاجة اليها فهم لا يسمعون ولا ينطقون بعد ان فقدوا البصر والبصيرة بانطفاء جذوة الإيمان فأسماعهم قد أغلقت عن سماع الخير وألسنتهم قطعت عن قول الخير والمعروف . {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ }البقرة١٩ "شبه المثال الأول المنافق المستوقد للنار وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وفي المثال الثاني شبه الإسلام بالمطر لان القلوب تحيا به كحياة الأرض بالماء وشبه شبهات الكفار بالظلمات وما في القران من الوعد والوعيد بالبرق والرعد "(٧١)القرآن الكريم يخاطب العقل الإنساني داعياً إياه إلى الإيمان عن طريق التفكير والتبصر في معرفة الحقائق وان يكون إيمانا نفيا راسخا ثابتاً حيث لا تعارض له مع الحقائق او مع

العقل . لذا فان التصوير القرآني في تنوع النفس البشرية (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا{٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{٨} الشمس) مقرباً الصورة الحقة للإنسان وكذلك التنبيه إلى حقائق تكون غير قريبة من ذهن المتلقي .وقد جاءت لفظة النور في مكان آخر من القرآن له ارتباط لا بالنور فقط وإنما مع المنافق لكن الفرق أن الأول كان في مثل الذي استوقد ناراً والثاني تحكي حقيقة حال المنافق يوم القيامة والقرينة ما بين الحالتين هو استلاب النور وعدم قدرة المنافق على الرؤية وبقائه في ظلام شديد يقوده إلى هلاكه (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{١٢} يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ{١٣} يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{١٤} فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ{١٥} الحديد) وهذا إخبار منه _سبحانه وتعالى_ عما يقع يوم في عرصات القيامة من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة والأمور الفظيعة وانه لا ينجو يؤمئذ الا من آمن بالله ورسوله وعمل بما امر وترك ما نهى عنه وزجر .... فلا يستضيء الكافر المنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا (انظرونا ...) وهي خدعة الله فلا يجدون شيء فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم (بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ)"(٧٢) المنافق المخادع يوم القيامة حين يرى نور المؤمنين بأيمانهم ويطفأ نوره لان النور على قدر الايمان هو لم يكن مؤمناً حقاً بل مخادع لذا فان نوره سوف يطفأ وهو بأشد الحاجة إليه . ويبقى ضالاً لا يميز طريقه في ظلام بهيم وخوف وهلاك محدق به وبما أن المنافق كان يخادع الله والناس المؤمنين فان الحقيقة ان الله خادعة لذا فان المنافق يعود الى مكان تقسيم الأنوار و لا يجد شيئاً ويضرب بينهم بسور للفصل الحق بين المؤمن والمنافق .ويضرب الله _سبحانه وتعالى_مثلاً آخر في بناء المنافقين لمسجد ضرار فقد بنوه كي تنطلق منه سهام الغدر والمكيدة للمسلمين والمثل القرآني شاكل ما بين البنيان الحقيقي المتمثل بالمسجد والبناء الإيماني في نفوس المؤمنين فكما ان للمساجد بناء معروف فان للنفوس بناء من نوع آخر يستمد قوته من الايمان بالله_سبحانه وتعالى_

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ{١٠٧} لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ{١٠٨} أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ

لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{١٠٩} لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ{١١٠} التوبة ١٠٩-١١٠) لا يستوي مسجد اسس بنيانه على تقوى من الله_سبحانه وتعالى_ ورضوان و مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين أسسه من حارب الله ورسوله من قبل فانما يبني هؤلاء بنيانهم على شفى جرف هار أي طرف حفيرة . مثاله (فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٧٣)فسنجد المؤمنين لا تقتصر عمارة المساجد على البناء المادي إنما ركائزه البناء الإيماني للنفس المؤمنة لذا فأننا لا نجد هذا التشبيه قد اقتصر في هذا الموضع بل جاءت آية أخرى في قوله تعالى :- ({إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ }التوبة١٨) أي عمارتها بالذكر والصلاة والتعلق بها . اما بناء المنافق مسجد ضرار فلم يعمر على تقوى الله_سبحانه وتعالى_ وهو على أيه حال لا يختلف كثيراً عن بناء المنافقين النفسي فيما حوت صدورهم من زور وكفر وبهتان ومكيدة للمسلمين . (لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) أي شكاً ونفاقاً بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أورثهم نفاقاً في قلوبهم كما اشرب عابدو العجل من اليهود(٧٤). وما تنطوي عليه النفس قد يظهر على ملامح الإنسان الخارجية وهيئته والتصوير القرآني وصف المنافقين بالبخل والجبن وهما نتيجة لأمرين خسر فيها المنافق ألا وهما ميدان ميزان الحرب في سبيل الله_سبحانه وتعالى_ فهم اجبن الناس ويبدون الأعذار للتولي يوم الزحف والميدان الآخر هو الإنفاق في سبيل الله فهم اجشع الناس وأبخلهم .اذ يفضح القرآن الكريم في حالة الحرب جبن وخور المنافقين على عكس سلاطة ألسنتهم وسوئها في اوقات السلم – و يشبه حالهم تشبيه دقيق فيه صور تقرب للفكر الإنساني ما يشعر به المنافق وقت الشدة يخبر الله تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لا خوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخلفائهم (هلم الينا) الى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً{١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً{١٩) وهم مع ذلك بخلاء بالمودة والشفقة عليكم وقال السري (أشحة عليكم) أي في الغنائم (فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفة وجزعه وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال(٧٥) هذا التشبيه القرآني فضح لما عليه حقيقة المنافقون تسلط في لسان وادعاء لأنفسهم المقامات العالية فان الحرب هي التي ستكشف معدنهم الحقيقي فلا مجاملات ولا قوة بيان إنما هي قوة ايمان ومن ثم قوة قلب ورباطة جأش وتضحية في سبيل الله . ولا ريب ان هذه

السمات النبيلة الراقية لن تتوفر في المنافق الذي كذب على الله -جل في علاه- وعلى المسلمين وتربص بهم الدوائر لا سيما وهو مهزوم من دواخله ."ومن روائع التشبيه" قوله تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }المنافقون٤ "وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس(كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول"(٧٦) {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً }الأحزاب١٩ "أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت ، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره ، فلا يطرف"

الهوامش

١. [١] : لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور : **١٠ | ٣٧٥**
٢. [١] الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي:٢١/١.
٣. [١] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي:٢١٢.
٤. [١] التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري:١/ ١٧٢
٥. [١] تاج العروس ٤٣٢.٤٣١
٦. [١] تفسير ابن كثير ١ /٧٦
٧. [١] تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي :١٤٦
٨. [١] م.ن ٧٦/١
٩. [١] المثال في الكتاب والسنة ،ابي عبدالله محمدبن علي الحكيم الترمذي /تحقيق السيد الجميلي ٣٢٧
١٠. [١] لجامع الصحيح المختصرمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي:١ /٢١ وينظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،تحقيق : شعيب الأرنؤوط:٤٨٨/١
١١. [١] تفسير ابن كثير ٧٨.٧٧/١
١٢. [١] البيت للمتنبي ينظر،يتيمة الدهر،الثعالبي :١٥٠/١ و خزانة الادب،للحموي :١٨٩/١
١٣. [١] التبيان في تفسير غريب القرآن :٥٧
١٤. [١] تفسير ابن كثير :٩٥.٩٤/٢

١٥. [١] م .ن:٥٣٠/٢

١٦. [١] الكتاب : التبيان في تفسير غريب القرآن :٢٢٩

١٧. [١]: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبو الفضل :١٤/٩

١٨. [١] مفردات ألفاظ القرآن المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم : ٢٦٧/٢

١٩. [١]م.ن ٦٩٧/١

٢٠. [١] التحرير والتنوير ١٠٦/٢٦

٢١. [١] التبيان في تفسير غريب القرآن :٣٤٠

٢٢. [١] ينظر تفسير ابن كثير ٦٢٦/٣)

٢٣. [١] م.ن:٧٥٣/١

٢٤. [١] (م.ن٧٥٤/١)

٢٥. [١] م.ن ٧٥٦/١)

٢٦. [١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:١٥٠/ ١٧

٢٧. [١] سنن النسائي الكبرى المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: **٥٣٨**

٢٨. [١] تفسير ابن كثير ٤٧٥/٢

٢٩. [١] م.ن: ٥٢٨/١

٣٠. [١] م.ن:٧٦/١

٣١. [١] م.ن: ٤٧٧/٢ وينظر الجواهر الحسان ١٨٦/٣

٣٢. [١] ينظر ابن كثير ٧٩/١

٣٣. [١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :١٤٥

٣٤. [١] ينظر تفسير ابن كثير ٤٣٦/٤ وينظر الجواهر الحسان ٤١١/٥

٣٥. [١] ا الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة :٣٥٥

٣٦. [١] ينظر الجامع للقرطبي ٤٩٧/٢٠

٣٧. [١] أدب الدنيا والدين تأليف،ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ،شرح وتعليق محمد كريم راجح : ٣٦٧.

٣٨. [١] تفسير ابن كثير :٤٨٢/٢

٣٩. [١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :١٤٢/١٠

٤٠. [١] تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٢

٤١. [١] م .ن: ٤٨٣/٢ وينظر أضواء البيان ٥٤٢/٢

٤٢. [١] تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٤

٤٣. [١] تفسير ابن كثير :٤٨٣/٢

٤٤. [١] تفسير ابن كثير :٦٢٤/٣

٤٥. [١] تفسير ابن كثير: ٦٢٤/٣

٤٦. [١] م، ن ٣/٦٥٢

٤٧. [١] التحرير والتنوير ٢١:/٢٨٣

٤٨. [١] تفسير ابن كثير :٢/٢٩٤

٤٩. [١] م.ن :١/٦٩٠

٥٠. [١]م.ن : ٢/٤٨٣

٥١. [١]م.ن : ٢ /٤٨٣

٥٢. [١] م.ن : ١/١١٨

٥٣. [١] م.ن : ٢/٤٨٤-٤٨٥

٥٤. [١] الإيمان : محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي :٢/٦٠٣

٥٥. [١] تفسير ابن كثير : ٢/٤٩٢

٥٦. [١] الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة : ٢٤٨

٥٧. [١] تفسير ابن كثير : ٣/٦٢٦

٥٨. [١] التعبير الفني في القرآن د.بكري شيخ أمين: ٢٢٠.

٥٩. [١] الجامع لاحكام القرآن ، القرطبي: ٢٠/٥٠٥

٦٠. [١] التحرير والتنوير : ٢٨/ ٢٢٠-٢٢١

٦١. [١] تفسير ابن كثير :١/٧٥٦

٦٢. [١] تفسير ابن كثير : ٤/٣٩٦-٣٩٧

٦٣. [١] تفسير ابن كثير : ١ /٣٣٣

٦٤. [١] **الأمثال العربية و العصر الجاهلي، محمد توفيق أبو على** :٦١

٦٥. [١] الأمثال في القرآن الكريم ابن قيم الجوزية:٩

٦٦. [١] مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية* دراسة * شارف مزاري :٥٦

٦٧. [١] مباحث في علوم القران، مناع القطان:٢٨٢

٦٨. [١] ينظر ابن القيم وحسه البلاغي في التفسير عبد الفتاح لاشين :١٧

٦٩. [١] م .ن :٩-١١

٧٠. [١] تفسير ابن كثير : ١/٨٣

٧١. [١] م . ن ١/٨٣

٧٢. [١] الإعجاز البلاغي :١٩

٧٣. [١] تفسير ابن كثير : ٤/٣٩٥

٧٤. [١] م.ن :٢/٥١٥

٧٥. [١] م.ن: ٢/٥١٥

٧٦. [١] م.ن: ٣/٦٢٥-٦٢٦

المصادر والمراجع

- ابن القيم وحسه البلاغي في التفسير عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، ط/١، ١٩٨٢م.
- أدب الدنيا والدين تأليف، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ_١٩٨٥ م ، بيروت_ لبنان
- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة /ط:١ ، القاهرة ، مصر ، الشركة الدولية للطباعة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢
- أضواء البيان في ايضاح القران بالقران ، تاليف الشيخ العلامة محمد المين بن المختار الجنكي الشنقيطي (١٣٢٥- ١٣٩٣هـ) اشراف بكر بن عبدالله ابو زيد ، مطبوعات المجمع ، منظمة المؤتمر الاسلامي ، مجمع الفقه الاسلامي _ جدة المملكة العربية السعودية (د- ت)
- الأمثال العربيه و العصر الجاهلى (دراسة تحليلية)، محمد توفيق ابوعلى ، دارالنفائس بيروت -لبنان ، ط/١ :١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
- الأمثال في القرآن الكريم ابن قيم الجوزية تحقيق : إبراهيم بن محمدمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله مكتبة الصحابة - طنطاالطبعة الأولى ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- الإيمان ، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده تحقيق ، د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي : مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٦.
- التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم تحقيق : د.فتحي أنور الدابولي دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرةالطبعة الأولى ، ١٩٩٢

- التعبير الفني في القرآن **بكري شيخ أمين** دار الشروق ، بيروت- لبنان ط٤ :١٩٨٠
- تفسيرالتحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤،

❖ تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي، راجع اصله واخرج احاديثه :الاستاذ الدكتور :احمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الازهر (د –ط) ١٩٩١م .

❖ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) طبعة جديدة منقحة مأخوذة عن دار الكتب العلمية ،قدم له عبد القادر الارناؤط ،دار الفيحاء، دمشق- سوريا ،دار السلام، الرياض_ السعودية :ط/٢ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

❖ الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا

❖ خزانة الادب ،تقي الدين ابي بكر علي بن عبدالله الحموي الازراري (ت –٨٣٧هـ) ،تحقيق عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ،ط/١ ،١٩٨٧م ،بيروت _ لبنان .

❖ الجامع لاحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، تاليف عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق الكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي ط/١١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م) مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان .

❖ جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ – ٣١٠ هـ]المحقق : أحمد محمد شاكرالناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ ممصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

❖ الجواهر الحسان في تفسير القران ،للامام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ابي زيد الثعالبي المالكي (ت ٧٨٦- ٨٧٥هـ) حققه وخرج احاديثه الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود وشارك في تحقيقه الاستاذ الدكتور عبد الفتاح ابو سنة دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،ط/١ ١٤١٨هـ –١٩٩٧م)

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبو الفضلالناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت

❖ سنن النسائي الكبرى المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق : شعيب الأرنئوط مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣
- مباحث في علوم القران، مناع القطان،مكتبة وهبة ، القاهرة ،مصر ،ط/١١ ، ٢٠٠٠م
- المثال في الكتاب والسنة ،ابي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي /تحقيق السيد الجميلي ، دار ابن زيدون ط/١ بيروت /١٩٨٥
- مختصر تفسير البغوي : عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ،الطبعة : الأولى الناشر : دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض تاريخ النشر : ١٤١٦هـ
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الناشر : دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ

- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية* دراسة * شارف مزاري _تصميم الغلاف للفنان : عبدالله أبو راشد من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق –٢٠٠١
- مفردات ألفاظ القرآن المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم دار النشر / دار القلم . دمشق
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى
- يتيمة الدهر ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ) تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ط/٢ لسنة ١٩٨٣.

The Image of Hypocrite in Holy Qur'an : Psychological and Analytical Study .

Dr. younis hilal mandil
Instructor
College of education/ Kirkuk Unv.

The hypocrite is the person who pretends to be Muslim in public hiding his hypocrisy . This study is based on shedding light on his innermost feeling that Holy Qur'an , which no falsehood can approach it from before or behind it , depicts . This character appeared during one of the greatest historical periods when Islam's army commanded by the prophet Muhammad (God's prayers and peace be upon him) waged a war against those who never believe in God . The hypocrite fought with Islam's army wile he belonged to the enemy's in reality . So, this morally bad character should be recognized by some qualities that built its inner structure . It is the person who has innocent face and corrupt heart . No Book is better than God's to reveal these people , their sly deeds , and bad intentions . It always reveals what theses people hide and their immoral features including their hidden tendencies , their lives , deeds , sayings to Muslims , and finally their punishment on Day of Judgment . It presents on entire idea about them , their unstable manner , and their punishment . It presents an entire idea about them , their unstable manner , and their punishment . They also have some features to distinguish their wickednees which is based on deceit but God is over – reaching them , telling lies , being miser , and cowardice they are so far from morals .
